

الادبي ، كما في الشعر الحديث والرواية الحديثة ،  
والى من السينما التي تميزت بقدرة خاصة هسي  
جعلها « الزمن ارحب باظهار احداث تجري في آن  
واحد وفي اكثر من مكان » اذ نجد ان البناء الحديث  
للعمل الابداعي اصبح يتضمن اكثر من زمان واكثر  
من مكان ، وانفسح مجالا لان تجري الوقائع وتتحرك  
المخيلة وتهوم الاحلام وتتغير الشخصيات طورا بذات  
الزمان ( أو ) المكان ، وطورا عبر عدة ازمنا  
و (أو) عدة أمكنة .

واذا ما اقتصرنا هنا على الفن التشكيلي ، فاننا  
قد رأينا ان الفنانين ، على تراوح في فهمهم لطبيعة  
العمل الفني ودوره ، يعمدون لاستقصاء عناصرهم  
السلبية لتطلمهم لرؤيا جديدة في الفن من خارج الارث  
الفني الاوروبي ، وبالذات من الفنون الشرقية ،  
المنسوجات اليابانية ، النسيج الفارسي ، المعمار  
الاسلامي ، الفن المصري القديم ، الفنون البدائية ،  
وخاصة الفن الافريقي والمكسيكي القديم . وهي  
الفنون التي استخدمت انماطا من التعبير كان هدفها  
الاساسي « اعادة خلق الطبيعة دون نظلها » اي  
عدم اتخاذ موقف وصفي جامد من الطبيعة والحياة ،  
وانما الفعل فيها والتاثير في مجراها .

ولو تفحصنا انماط التعبير عند الاطفال لوجدنا  
العديد من تقاطع الالتقاء مع فنون طفولة الانسان  
الاولى ومع العديد من سمات الفنون الشرقية  
والفن المصري القديم بصورة او بأخرى ، وبالتالي  
وجدنا تقاطع اللقاء ما بين محاولات الاطفال التلقائية ،  
والتجارب الفنية الحديثة الباحثة عن الرؤيا  
الارحب .. فالاطفال الذين غالبا يرسمون ما يعرفونه  
لا ما يرونه « يهملون » قواعد المنظور وقلما عرفوا  
البعد الثالث ( الا في سني نمو متأخرة ) تماما كما  
اهمل الفنانون الكبار عن وهي قواعد المنظور او  
حطبوها منذ سيزان وجوهان ومايتيس ... الخ .  
وكما يبيل الاطفال الى الشفوف ، اي اظهار ما  
يفترض ان لا يرى بصريا ، كاظهار السمك وهي  
تسبج ، او اظهار الاشخاص التابعين في بيوتهم ،  
او اظهار الحبوب في احشاء الطيور .. الخ ،  
وجدنا جوان جري وبراك وبيكاسو يحاولون ان  
يظهروا ما لا يظهر . لقد وجدنا الاطفال يحققون  
الرؤية الرجبة ، التي لا تنحصر في مكان واحد او  
زمان واحد ، حيث تنقل رسومهم عدة وقائع بذات  
الوقت دون العناية ان يكون ممكنا رؤية هذه الوقائع  
دفعة واحدة بصريا ، وهو ما فعله بيكاسو حينما

كانت وجوه اشخاصه مرسومة من وضع جانبي  
وامامي مرة واحدة !

ان ما نعرفه من سمات لفن الاطفال ، من تخير  
للاوضاع النموذجية ، التسطيح ، التصنيف ،  
المبالغات ، الكتابة .. الخ ، قد رأينا تمثلات  
واعية له عند العديد من الفنانين المعاصرين  
والمحدثين مثل بول كلي ، ميرو ، شاجال ، دوفي ،  
سلفادور دالي وغيرهم . لذلك يمكن القول ، ان  
اطفال البقعة ، شأنهم شأن بقية الاطفال ، يقومون  
ضمن نظرتهم الخاصة للاشياء ، بما يحاول الفنان  
المعاصر ان يفعل اليوم ، اي استخلاص جوهر  
الشيء ، قانونه العام ، ويستبعد الامور العارضة ،  
اي اعادة بناء الاجسام — الاشكال ضمن منظوره  
الخاص . فالرسم عند الطفل ليس تمثلا لما تراه  
العين في الطبيعة ، اي الحقيقة البصرية ، وانما  
هو اختصار وتشذيب للواقع ، مضينا ذلك بموقفه  
الخاص ، الاحتجاج عليه ، اعادة صياغته برؤيا  
الطفولة واحلامها وامنياتها ، لذلك نشهد ، حتى  
في رسومهم التي تتناول موضوعا واقعيا ، كالقرية ،  
الريف ، الخيم ، البيت ، عناصر جديدة لا تنتمي  
للوواقع المعيني ، المنظور ، تتمثل في اعطاء هذا  
الواقع صورة اجمل ، مزخرفة ، نظيفة ، كأنها  
يعكسون أمنية تحققها كما بنوها في خيالهم . هكذا  
رأينا أمينة عبدالغفار ترسم قريتها فرشقت فيها  
حسها الزخرفي والجمالي الخاص ، وهكذا رأينا  
نوال محمد ابراهيم ترسم غرفتها كما تتبني ،  
مبلطة نظيفة ، تتوسطها مائدة خضراء ، وفوقها  
آنية تحمل زهرة منفردة ، لكنها كانية ، وتريد  
لنفسها مقعدا ملونا . وهكذا يرسم الطفل النازح ،  
الغدائي بشاريين ولحية مسترسلة ، كأنها يريد  
ان يعمم ما هو خاص في رؤيته ، في حبه  
وعشقه لنمط جمالي ما .

الاطفال ، وكما يحاول الفنانون منذ زمن ، لا يرون  
اية حاجة لرصف كل الموصفات الشكلية لشيء  
ما . انهم يبحثون عن خطوطه المؤثرة ، الموجبة  
بجوهر الجسم ، بطبيعته ، « بنواياه » . لذلك  
تبدو اشكال رسومهم حية ، مفكرة ، مريدة ، تشف  
عن مواضعها ، عن نواياها . لننظر الى رسم خطه  
الطفل يعقوب محمد ١٣ سنة ، وهو يبيل جمالا .  
شمة شيء يشعرونا ان الجمال تضحك ، تسخر منا  
بصورة ما . انها اليفة بصورة مميزة ، لا تخطئه  
اذا امتلكتنا مشاعر الحنو علسى هذه المخلوقات